بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة للشيخ الدكتور محمد خير الشعال

**أخلاقنا التجارية**

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله نحمده ، ونستعين به ونستهديه ونسترشده ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده فهو المهتد ، ومن يضلل فلن جد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، خير نبي اجتباه ، وهدى ورحمة للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد فيا عباد الله ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى ، بلا ريب نحن - يا أيها الإخوة - ماضون ، وهذه الأزمة التي نزلت بالبلد ، والتي نسأل الله أن يعجل لنا فرجها بلطفه ، هذه الأزمة جعلت الموت قريباً إلى كل واحد فينا ، يموت الكبير ويموت الصغير ، يموت الغني ويموت الفقير ، يموت الرجل وتموت المرأة ، إنها عبرة ليستعد كل منا للقاء ربه ، تعددت الأسباب والموت واحد ، وإننا إذا مضينا للقاء ربنا سيسألنا سؤال واحد بعد الإيمان عن تقوى الله ، هل أتمرت بأمر الله ؟ وهل انتهيت بنهيه ؟ هذه هي التقوى ، من كان منا ملتزماً بالتقوى فليحمد الله وليثبت وليستقم ، ومن كان منا على غير هذا المنهاج فالوقت مناسب جداً للعود ، أتقن فرائضك ، اترك الحرام ، أد ما استطعت من النوافل ، هذه هي التقوى ، ترك الحرام ، إتقان الفرائض ، أداء ما استطعت من النوافل ، إنه مَن يَعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ثم أستفتح بالذي هو خير .

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين [البقرة: 286] ، وقال سبحانه في وصف المتقين: وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ [آل عمران: 135] ، الوقت مناسب جداً - إن كانت قدمك قد زلت - لأن تذكر الله فتقلع عن الذنب وتستغفر من ذنبك ، لأن تُعيد الحق إلى أصحابه ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون [آل عمران: 135] .

روى الترمذي عن أبي هريرة : أن رسولَ اللهِ قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذا أخْطَأَ خطيئَة ، نُكِتَتْ في قلبه نُكْتَةٌ ، فإِذا هو نَزَعَ واسْتَغْفَرَ وتابَ صُقِلَ قلبُه ، وإنْ عادَ - أصر على ذنبه - زِيدَ فيها حتى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، وهو الرَّانُ الذي ذكره اللّه في كتابه: كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون [المطففين: 14]) [أخرجه الترمذي].

مهم جداً أن يَعرف المرء خطأه ، ليس العيب أن يخطأ ، العيب أن يبقى مصراً على الخطأ ، هذه الخطبة تسعى لتصحيح ما استطعنا من هذه أخطاءنا ، لأن الله سبحانه لا يُهلك قرية أهلها مصلحون متصالحون ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون [هود: 117] .

وخطبة اليوم {أسواقُنا مرآة ديننا} ، لا بد أن تقرأ دينك في المحل التجاري ، في المكتب ، في العيادة ، في المؤسسة ، وخطبة اليوم من النوع الثاني عنوانها [ضعف أخلاقيات العمل] .

خطأ شائع ، في المسجد الأخلاق عالية ، في البيت أحياناً الأخلاق عالية ، في المعاملات بعيداً عن المال الأخلاق عالية ، حتى إذا نزلنا إلى المال تغيرت الأرض غير الأرض .

أوقفَت امرأة طاعنةٌ في السنِّ سيارة الأجرة لتطلب إلى السائق توصيلها إلى الحي الفلاني ، أخبرها أن الأجرة ستكون ثلاثمائة ليرة ، طلبت إليه أن يُخفض الأجرة إلى مائتين وخمسين لقلة ما تملك من المال ، فما كان منه إلا أن أمَرها بإغلاق باب السيارة ونهَرها وحرك السيارة مبتعداً عنها .

يبدأ دوام محلهم التجاري التاسعة صباحاً ، ويكاد  الأجير المكلَّف بفتح المحل يتأخر يومياً عن بدء الدوام ، متعللاً بالزحام وعقبات الطريق التي أخَّرته ، وفي كثير من المرات لا يكون صادقاً في قوله .

كانت طعم الفريز الناضجة الحمراء الكبيرة مصفوفة بانتظام بالصندوق المغلف بالورق اللاصق الشفاف ، فاشترى منها صندوقاً ، ولما وصل بيته وفتحه تَفَاجَئَ بأن المنظر المذكور للفريز لم يكن إلا بالطبقة العليا ، بينما كانت أضدادها في السفل .

الأخلاق في الجامع عالية ، وبالتعاملات بين الناس دون المصاري جيدة ، حتى إذا دَخل المال تغير الرجل .

ألقى رجال الشُّرطة القبض على موظف مسؤول عن قمع السَّرقات في شركة الكهرباء في بلد عربي ، وسبب إلقاء القبض عليه أنه مُتَّهم بقيامه بعدد كبير من عمليات سرقة الكهرباء ، هو المكلف بمتابعة سرقة الكهرباء وهو السارق للكهرباء .

لما أنهى عامل الدهان طِلاء الشقة وأخذ كامل الأجرة ، بقيت بقعة من جدار كان طلاؤها متسخاً ، وعد العامل صاحب البيت بأنه سَيعود بعد أسبوع لإكمامها ، وانتظره صاحب البيت ثلاثة أشهر ، وإلى الأن لم يُتَح له وقت للعودة .

يَستجر رجل حاجيات بيته من البقالة الواقعة في حيه ، ويدفع حسابه على رأس الشهر ، وهكذا يَفعل عدد من جوار الحي ، لكن صاحب البقالة يَشتكي من بقاء ذمم على بعض المشترين ، يزيد مجموعها على مائتي ألف ليرة ، القوم بين مسافر لم يؤد ما عليه ، وما بين متهاون بالديون ، وبين مُعسرٍ ضَاقت به الأمور .

يُؤجر رجل شقته بمائة ألف كل ثلاثة أشهر ، بالأمس فاجئ المستأجر بأنه يريد مائتين ، إن أرادوا الاستمرار بالاستئجار بعد انتهاء العقد الحالي بعد عشرة أيام .

كل هذه - أيها الإخوة - صور قليلة ومعدودة من حالات تملكون كثيراً منها ، لو أردنا إحصائها ، تدل بوضوح أننا في أسواقنا التجارية لا تَنعكس أخلاق دِيننا ، خطأ شائع ، ولعلي إن سألتكم من منكم لم يَتعرض لأذى في السوق ، من عميل أو شريك ، لعل أحداً لا يَرفع يده لأن الجميع قد أصابهم مِن ويلات السوق ، أخلاقيات العمل ، خطأ شائع ، هذه الخطبة مهمة - أيها الإخوة - ليس لأن تسمعوها أو تحضروها ، هذا مهم ولكي إذا سمعت شيئاً فيك أن تبدأ التغيير .

أيها الإخوة: الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق ، من لا يأت الثلاثة فإسلامه ناقص ، وما لم يَظهر أثر إيمان المؤمن في سلوكه ، ونورُ عبادته في معاملاته ، وجمالُ دينه في أخلاقه ، فإن إيمانه يَبقى ناقصاً ، وفهمه للدين يَظل جامداً .

ولعل السوق التجاري مِن أهم الأماكن التي يَنبغي للمؤمن أن تَظهر فيها أخلاقه ، وتنعكس فيها تعاليم دينه .

كيف لا ، والنبي يقول: (التَّاجر الصَّدوق الأمين ، مع النَّبيين والصِّديقين والشُّهداء) [أخرجه الترمذي] ، التَّاجر الصَّدوق الأمين في أخلاقيات الصدق والأمانة وهو في السوق التجاري مع النبيين مع سيدنا محمد ، لماذا يذهب الحجاج إلى الحج ؟ والمعتمرون إلى العمرة ؟ والمكثرون من الصلاة على سيدنا محمد من الإكثار من الصلاة عليه ؟ يريدون صحبته ، لماذا يكفل الناس الأيتام ؟ ليكفلوا صحبة النبي ليضمنوها التَّاجر الصَّدوق الأمين ، مع النَّبيين والصِّديقين - مع سيدنا أبو بكر - والشُّهداء .

قال النبي : (قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة) بالله عليكم تخيلوا المعنى ، ثلاثة أشخاص رب العالمين سيخاصمهم ، والمخاصمة يوم القيامة ، ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، وعد منهم النبي منهم ، (رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) ، أنهى العامل عندك شغله ، فخصمت عليه عشرة آلاف ، [راعينا أخي ، هات بوسة من شواربك ، ساولوا كاسة شاي ظريفة ، وأكل عليه عشرة آلاف ليرة] ، [لما دور الحساب بآخر السنة ، له معه 130 ألف زايدلو ، قللو هي 100 ، قللو وال30 ، قللو سامحنا ، قللو أبو فلان ، خلص الحسم موجود سابقاً ، سدد الحساب ، ألو أي ما حدا بيعطي الحساب كامل هل الأيام ، قللو إذا ما بِدك مندورهم للسنة الجاية ، أخي هيك كل السوق ماشي ، خطأ شائع ، حقه مال أعطه ماله بعدين ، هو خليه يتبرع بال 30 ألف ، بس أنت تخصم عليه بعدين مندورلك ياهم للسنة الجاية ، سامحتني إذا ما سمحتني قول هاه ، منين سامحتك ، احترق قلبه ، أي سماح هذا] .

(ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة) وعد منهم ، (رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) .

كتب أحد أساتذة كلية التجارة في بلد عربي: "لقد نجَم عن طغيان المادة البحتة في العالم مُشكلات نفسية وسلوكية للعاملين في السوق ، يرجع بعضها إلى افتقادهم الأخلاق والقيَم والـمُثُل ، - معه شهادة جامعية نعم ، معه لقب علمي نعم ، معه مال نعم ، معه سيارة فارهة نعم ، معه أخلاق لاء - لقد نجم عن طغيان المادة البحتة في العالم مُشكلات نفسية وسلوكية للعاملين في السوق ، يرجع بعضها إلى افتقادهم الأخلاق والقيم والمثل ، وظهَرَت العديد من المشكلات التي يصعب حلها في النظم والقوانين ، مما أقنع العديد من المنظرين لرجال الأعمال بضرورة العودة مرة أخرى إلى القيم" . [ما في حل ، بدنا نرجع للدين ، مو نحنا عم نقول ، الدارسون ومن غير المسلمين ، لازم ترجع الناس للدين ، حتى تنحل مشكلات السوق] .

وخلص بحث اقتصادي غربي إلى أن الأخلاق الحسنة تُؤدي إلى أعمال تجارية جيدة ، يا شباب الأخلاق الحسنة تُؤدي إلى أعمال تجارية جيدة ، شعار: (أخلاق جيدة تجارة جيدة) ، [ما في أخلاق ما في تاجر ، هذا ولا بيعرف من التجارة رائحتها] .

وتعلو صيحات طائفة من الاقتصاديين لتقول: (الأخلاق فوق الاقتصاد) ، آبائنا وأجدادنا ما كان معهم شهادات عالية بالاقتصاد ، ولكن معهم شهادات عالية بالأخلاق ، أخلاقهم يستجلبون فيها الرزق من الأرض والسماء ، بأخلاقهم العالية ، [إذا معك شهادة تجارة منيح ، معك دكتوراه بالمبيعات منيح ، بس بدك شهادة أخلاق عالية ، وليست شهادة لقب ، إنما هو تطبيق].

تدرَّس في الجامعات اليوم مواد تَهتمّ بالأخلاق لكلِّ مهنة واختصاص، كمقرر أخلاقيات الطِّب في كليات الطِّب ، طبيب بلا أخلاق [يا ريتو ما صار طبيب ، يؤذي أكثر مما يفيد ، صار في دبلوم أخلاقيات الطب ، في دكتوراه أخلاقيات الطب ، بكليات طب الأسنان آداب ممارسة المهنة ، وطب الأسنان ، ومقرر آداب الصَّيدلة في كلية الصَّيدلة ، ومقرر أخلاقيات المعلوماتية في كليات الهندسة المعلوماتية] وهكذا سائر العلوم .

سُئل رسولُ الله عن أكثر ما يُدْخِلُ النَّاس الجنة ؟ فقال: (تقوى الله وحسن الخُلق) [أخرجه الترمذي] ، وقال النبي : (إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) ، وقال رسول الله : (إنَّكم لا تَسَعُون النَّاس بأموالكم ، ولْيسَعهم منكم بسط الوجه وحُسن الخلق) [أخرجه الحاكم والبزار والبيهقي في شعب الإيمان] .

ومن أجمل ما ورثنا عن آبائنا وأجدادنا أقوالهم في الأخلاق العالية وارتباطها بالسوق التجاري ، منها:

سعة الأخلاق كنوز الأخلاق: [مثل هذا ، مو سعة المحل ، ولا سعة الشركة ، ولا سعة السيارة ، ولا سعة المزرعة ، سعة الأخلاق كنوز الأخلاق ، إذا ركبت سيارة فارهة بتحط إيدك عالشباك ، ما بتغرينا بانو نعرفك من أنت ، بس إذا بتعاملنا بأخلاقك منعرفك من أنت ، وحنعاملك بناء على أخلاقك ، مو بسيارتك .

ومنها: ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ، من ساء خلقه ذل نفسه ، خير الناس من فرح بالخير للناس ، إذا ذهب الحياء حل البلاء .

أيها الإخوة: عندما يَصير الكذب في مواعيد الاستلام والتسليم عادة ، والغش مهارة ، وغبن الزبون ذكاء ، وسحب البساط من تحت رِجلَي الشريك شطارة ، عندما تصير الأمانة مغنماً ، والكلمة الحرة نادرة ، إذا حدث كل ذلك فقد حَلَّ البلاء فوق البلاء ، وزاد الكرب فوق الكرب . لذلك مُهم جداً أن نضغط جميعاً أفراداً وأسراً ومجتمعاً على تعزيز أخلاقيات العمل في السوق ، وررد في الحديث عن سيدنا علي ، أن النبي لما أتي بسبايا ، وقفت جارية فقالت: يا محمد ، إن رأيت أن تُخَلِّي عني ، ولا تُشمت بي أحياء العرب ، فإني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يَحمي الدمار ويفك العاني ، ويشبع الجائع ويكسو العاري ، ويقري الضيف ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طي ، كانت أسيرة يعني مشركة ، هي وقفت أمام النبي ، قالت إذا رأيت أن تخلي عني ، لا تشمت بي العرب ، فقال النبي : (يا جارية ، هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه) هي أخلاق المؤمنين ، أن يفك العاني ، أن يطعم الجائع ، أن يفشي السلام ، أن يقري الضيف ، أن يكسو العاري ، أن يساعد الناس ، أخلاق السوق التجاري ، (يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق) [كرامة لأخلاق أبيها قال اطلقوها] فقام أحد الصحابة فقال: يا رسول الله ، الله عز وجل يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال النبي : (والذي نفسي بيده ، لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق) ، [طبعا إذا الواحد لسانه غير عفيف شلون بدو يدخل الجنة ، إذا واحد أذي الناس كيف بده يدخل الجنة ، ما هو آذي نصف أهل الجنة عن طريقه مفوت بضاعة فاسدة عالبلد غاشش الناس كلهن ، والله إذا شافوه بيحاسبو .

أيها الإخوة: إدخال الأخلاق إلى السوق التجارية ، إن ضعف أخلاقيات العمل خطأ ، [ما في مشكلة نحنا نخطأ ، بس المهم إذا عرفت خطئك أبدأ بالتغيير] إن ضعف أخلاقيات العمل خطأ ، وصوابها عكسها .

ختاماً: كيف نعزز الأخلاق في العمل:

1-  اللحاق بمجالس العلم والعبادة ، لأن العلم مُذكر يذكرك بهذا الذي تنساه ، فأنت شبيه فتنسى ، فإذا حضرت في مجالس العلم تذكرت .

2- صحبة ذوي الأخلاق العالية ، لأن الطبع يسرق من الطبائع .

3- تنشئة الأبناء على الخلق الكريم والخصال الحميدة .

4- توظيف موجه أخلاقي في مؤسَّساتنا وشركاتنا - [نحنا مُنعين مستشار مالي / محاسب ، مستشار قانوني / محامي ، خلينا نعين موجه أخلاقي] إذا كان المحل أو المؤسسة فيها عدد من العمال ، يحتمل - توظيف موجه أخلاقي في مؤسَّساتنا وشركاتنا ، مهمته تعزيز الخلق عند العاملين وأصحاب العمل .

نسأل الله تعالى أن يُعيننا على تصحيح أقوالنا وأفعالنا ، حتى يُعجل لنا بالفرج . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، فيا فوز المستغفرين .

بتصرف